

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (٢-٤) : نفحات إسلامية ، الوقت وخطورة إضاعته .
أركان النجاة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وترحيب :

الأستاذ زياد :

السلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحبيكم في مستهل هذا اللقاء ونرحب بفضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ مادة الإعجاز العلمي في كليات الشريعة وأصول الدين ، والأستاذ في كليات التربية بجامعة دمشق .

أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم .

يسرنا أن يتجدد اللقاء معكم فضيلة الشيخ ، ومع برنامجنا هذا ، في شهر رمضان للوقت عامل إضافي ، يضاف إلى حياتنا اليومية أهمية إدارة الوقت ، وكلنا ينضبط بمواعيد محددة ، وهو دورة تدريبية مكثفة كما ذكرتم مدرسة إيمانية ، مدرسة تعبدية ، مدرسة أيضاً لحركتنا اليومية ، وإيقاعنا ، وضبط كل ما يمكن ضبطه من شهوات النفس ، والحركة الزائدة إيقاع الحياة ، نحاول أن نسيطر على هذا الإيقاع .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما صحت روايته عن النبي المصطفى أنه قال :

((نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))

[رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس]

فهل لنا من أن ننطلق من هذا الحديث النبوي الشريف ؟ لنخوض في موضوع إدارة الوقت بالنسبة للمسلم ، وأهمية هذه الإدارة للوقت .

مقدمة تأصيلية لموضوع إدارة الوقت :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

١ - الزمن هو البعد الرابع للأشياء :

أستاذ زياد ، جزاك الله خيراً ، النقطة إذا تحركت رسمت خطاً ، والخط إذا تحرك رسم سطحاً ، والسطح إذا تحرك شكل حجماً ، والحجم إذا تحرك كان زمناً ، وفي أحدث النظريات الزمن هو البعد الرابع للأشياء .

٢ - الإنسان زمن :

أما علاقة الإنسان بالزمن فهو في حقيقته زمن ، أو أن رأس ماله هو الزمن ، أو أن أثمن شيء يملكه هو الزمن ، هو زمن ، وما سمعت تعريفاً جامعاً مانعاً للإنسان كتعريف الإمام الجليل الحسن البصري حيث قال : " الإنسان بضعة ، أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه " ، فهو كائن متحرك نحو هدف ثابت ، فكل دقيقة تمضي تقربه إلى هذا الهدف الثابت .

٣ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

لذلك الله جل جلاله أقسم بمطلق الزمن ، لهذا المخلوق الأول رتبةً الذي هو في حقيقته زمن ، أقسم لهذا الإنسان الذي هو في حقيقته زمن لمطلق الزمن ، فكان جواب القسم :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

(سورة العصر)

قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

(سورة العصر)

ما معنى الخسارة ؟ مضي الزمن وحده يستهلكه ، فلذلك يقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن ، أنه خاسر لا محالة ، لأنه يتلشى شيئاً فشيئاً ، لذلك ورد في بعض الأحاديث الصحيحة :

((بادروا إلى الأعمال الصالحة ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنىً مُطغياً ، أو فقراً مُنسياً ، أو مَرَضاً مُفسِداً ، أو هَرَمًا مُقيداً ، أو مَوْتًا مُجهزاً ؛ أو الدجال ، فالدجال شرُّ غائبٍ يُنتظر ؛ أو السَّاعَةُ ، والسَّاعَةُ أدهى وأمرّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول : " الليل والنهار يعملان فيك " .
انظر إلى صورة قبل أربعين عاماً ، وانظر إلى صورة بعد أربعين عاماً الفرق كبير جداً ، هذا فعل الزمن ، الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

لذلك هذا الزمن إما أن يستهلك ، وإما أن يستثمر ، البطولة والذكاء ، والفلاح والتفوق ، أن نستثمره، وضيق الأفق ، والغباء ، والجهل ، أن نستهلكه .
الأستاذ زياد :

فضيلة الشيخ لنتبسط بالأمر بعض الشيء ، في أيامنا العادية غير أيام رمضان يقول المرء : إيقاع الحياة سريع ، حياتي العملية تأخذ مني كل الوقت ، دراستي في الجامعة تأخذ كله وكل ما هنالك ، والمرأة في بيتها ، أو في عملها الكل منشغل ، الكل يسارع إلى قضاء حوائجه من هذه الدنيا ، ولكن في رمضان وكأن شيئاً يتوقف ، نحن نسيطر على إيقاع الحياة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))

[رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس]

الصحة أن يكون قوي الجسم لطاعة الله ، والفراغ عنده وقت فراغ ، كيف يستثمره المرء ، وذكرتم الفرق بين الاستهلاك والاستثمار .

إدارة الوقت :

١ - إدارة الوقت أخطر شيء حياة الإنسان :

الدكتور راتب :

ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

أي : سمح لي أن أعيش يوماً جديداً .

إذا : إدارة الوقت أخطر شيء في حياة الإنسان .

٢ . أصل إدارة الوقت من القرآن الكريم :

إدارة الوقت منطوية في آية كريمة :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الملك)

٣ . ملخص إدارة الوقت :

يمكن أن تلخص إدارة الوقت في كلمات ، أن تضع هدفاً وأن تتحرك نحوه معظم الناس يعيشون بلا هدف ، لا يشعرون أن وراءهم رسالة ينبغي أن تؤدي ، لا يحسون أن هناك هدفاً يمكن أن يحقق ، هذا الذي لا يعرف قيمته ، ولا يعرف رسالته ، ولا يعرف هدفه هو بعيد عن أن يكون في المستوى الرفيع .

فذلك : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فأني لا أعود إلى يوم القيامة .

الأولى أن يعد الإنسان عمره عدداً تنازلياً لا عدداً تصاعدياً ، فإذا ذهبت إلى طرابلس أرى اللوحات ٥٠ . ٤٠ . ٣٠ . ٢٠ . هذا العد التنازلي .

الأولى بالإنسان ألا يقول : كم مضى من عمري ؟ بل يقول : كم بقي لي ؟ فإذا مضى الذي مضى كالمح البصر .

٤ . استهلاك الوقت خسارة :

الآن استهلاك الزمن خسارة محققة ، كيف يستهلك ؟ نأكل ، ونشرب ، ونسترخي ونستمتع ، ونفعل ما يحلو لنا ، بلا ضابط ، وبلا قيمة ، وبلا هدف ، وبلا وسيلة ، وبلا منظومة قيم ، وبلا هدف واضح ، هذا إنسان يستهلك الوقت ، خسارته لا تقدر بثمن ، ولكن بعد فوات الأوان .
أستاذ زياد ، هذا مثل لا بد منه ، مثل :

٥ . العاقل يحكمه النص ، وغير العاقل يحكمه الواقع :

لو أنني مسافر إلى طرابلس ، وهناك مكان في هذا الطريق مقطوع بسبب تراكم الثلوج ، مثلاً ، أو لسبب آخر ، وخرجت من بيروت فإذا لوحة كتب عليها : الطريق مقطوع بسبب كذا ، هل هناك إنسان فيه ذرة عقل يتابع الطريق ؟ يرجع ، ما الذي حكمه ؟ هذا النص ، هذا البيان ، لو أن دابة أين تقف ؟ عند العقبة .

حينما يكون الإنسان عاقلاً يحكمه النص والبيان ، وحينما يحكم عقله يحكمه الواقع ، فعظمة الإنسان أن الله أودع فيه قوة إدراكية ، وأنزل على أنبيائه كتباً ، وهناك توجيهات ، الحياة مؤقتة ، فاستهلك الوقت أن أعيش كما يحلو لي ، أن أعيش لحظتي ، وألا أفكر فيما سيكون .

لذلك الإنسان الغبي يعيش ماضيه ، يتغنى بماضيه ، والأقل غباء يعيش حاضره ، والعاقل يعيش مستقبله ، عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[أخرجہ ابن ماجہ]

كما تفضلتم ، كيف نستثمر الوقت ؟ نستهلكه كما يفعل معظم الناس ، يعيشون لحظتهم ، ويفاجئون بحدث مستقبلي لم يكن يخطر لهم على بال .

٦ . الموتُ بوابة الخروج :

أنا أقول كلمة لعلها قاسية ، لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح : هل يمكن أن أستيقظ كل يوم كالיום السابق إلى ما لا نهاية ؟ مستحيل ، الأنبياء ، والعظماء والملوك ، والجبابة ، والأغنياء ، لا بد من يوم تظهر ظاهرة لم تكن من قبل ، إذاً هي بوابة الخروج ، من هو العاقل ؟ الذي يعد لهذه الساعة ما يحتاج ، استهلاك الوقت كما يفعل الناس .

٧ . استثمار الوقت :

١ . وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

أما استثمار الوقت فكما يقول الله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا ﴾

ما بعد (إِلَّا) مخالف لما قبلها ، فإذا طبق الإنسان ما بعد إلا فليس خاسراً .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

٢ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الإمام الشافعي قال عن هذه الأربعة : أركان النجاة ، أنت تنجو إذا تعرفت إلى الله ، ثم عملت بما علمت .

وعالم بعلمه لم يعملنْ معذب من قبل عباد الوثن

لو أن حقيقة صارخة مفادها أن إنساناً مريضاً مرضاً جليداً ، وأنه لا بد له من تعريض جلده لأشعة الشمس ، فقع في غرفة مظلمة رطبة ، وقال : يا لها من شمس ساطعة ، ما أروعها من شمس ، يا لها من أشعة مطهرة ، لو ملأ الدنيا فصاحة ، وبلاغة لم يُشَفَ .

لذلك حقائق الدين من دون أن تطبق لا إطلاقاً ، ما فعلت شيئاً ،

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

ما عرفت الحقيقة ، وأودع الله في الإنسان قوة إدراكية ، فإن لم تطلب الحقيقة لا تعرف من أنت ، أنت المخلوق الأول ، الكون كله مسخر لك .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾

(سورة الجاثية الآية : ١٣)

الآن بعد أن عرفت الحقيقة الصارخة ، عرفت أن الله موجود ، وأنه خلق الإنسان لجنة عرضها السماوات والأرض ، وأنه خلق الإنسان في الدنيا ليمتحنه وأنه خلقه في الدنيا ليدفع فيها ثمن الآخرة . هذه الحقيقة الأولى .

الآن :

﴿وَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

ينبغي أن تعمل وفق ما علمت ، لأن العلم ليس هدفاً بذاته إطلاقاً ، العلم وسيلة وليس هدفاً ، العلم ما عمل به ، فإن لم يعمل به كان الجهل أولى ، العلم حجة للإنسان إذا عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل به .

﴿وَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

ينبغي أن تعلم ، وينبغي أن تعمل وفق ما علمت ، وينبغي أن تدعو وفق ما علمت .

٣ . وَتَوَاصَلُوا بِالْحَقِّ

يغيب عن الناس أو عن معظم الناس أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، الحقيقة بشكل موضوعي قد تكون الدعوة فرض كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، بمعنى قوله تعالى :

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٠٤)

أي : هناك علماء متخصصون ، متبحرون يملكون الأدلة التفصيلية ، يملكون الرد على كل الشبهات ، هؤلاء متخصصون ، متبحرون ، هذا فرض كفاية ، أما فرض العين فإن على كل مسلم يريد أن يدعو إلى الله في حدود ما يعلم ، ومع من يعرف ، يؤكد هذا قوله تعالى :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

(سورة آل عمران الآية : ٣١)

فعلامه حبك لله اتباع النبي ، ويقول أيضاً :

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(سورة يوسف الآية : ١٠٨)

يدعو إلى الله على بصيرة يعني بالدليل ، والتعليل ليس متبعاً لرسول الله ، فإن لم يتبع إذاً هو لا يحب الله .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

إذاً : من أركان النجاة أن اعلم ، وأن أعمل بما علمت ، وأن أدعُ بما علمت .

٤ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

الآن هناك عقبات ، هناك صعوبات ، هناك صوارف ، هناك طرف آخر ، هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٣٦)

لا بد من أن تصبر على طلب العلم ، وعلى العمل به ، وعلى تعليمه ، هذه أركان النجاة الأربعة ، فإذا حققت فقد حقق الإنسان وجوده في الأرض .

٨ . سورة العصر أركان النجاة :

لو تدبر الناس هذه السورة لكفتمهم ، وكان أصحاب النبي عليهم رضوان الله لا يتفرقون من مجلس إلا بعد أن يقرؤوا هذه السورة ، هي سورة قصيرة ، لكنها خطيرة ، سورة تحدد لك متى تريح ، ومتى تخسر .

خاتمة وتوديع :

الأستاذ زياد :

جزاكم الله خير جزاء ، فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي نشكر لكم هذه المساهمة القيمة في برنامجنا ، نشكر لكم هذا العناء الذي تكلفتم به للحضور من دمشق إلى هنا ، نشكر لكم هذه المساهمة كما ذكرت ، وثلثي في مناسبات أخرى بإذن الله تعالى في شاشة تلفزيون المستقبل ، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، وأعاد الله علينا وعليكم وعلى الإخوة المشاهدين رمضان أعواماً بعد أعوام .

لكم التحية فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق ، وأستاذ مادة الإعجاز العلمي في كليات الشريعة و أصول الدين .

أيها الإخوة المشاهدون ، نشكر لكم هذه المتابعة لبرنامجنا ، ونسأل الله لكم صياماً مقبولاً ، ودعاءً مستجاباً ، وعبادة متقبلة بإذن الله ، لكم التحية .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين